Journal of Fundamentals of Religion
Vol. 7, No. 2 (December 2023) pp: 75-91
مجلة أصول الدين
المجلد 7 العدد 2 (ديسمبر 2023) ص ص: 75-91

اللاهوت الصراطي بين سلطة الكنيسة والفرقة الناجية

د.أمينة تليلي
أستاذ مساعد متعاقد، قسم أصول الدين، المعهد العالي لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس
Amina-tlili@outlook.fr

الملخص:

قد لا يخلو دين من الأديان السماوية من ممارسات تفضي حتما إلى تشكل ما يسمى باللاهوت الصراطي، بما يعنيه من احتكار بعض أتباعه للرحمة الإلهية، وخصّ فريق بها دون غيره، فيرى هذا الفريق نفسه على حق وما دونه على باطل، وما ينتج عن هذا من أحكام شرعية تفضي إلى التكفير والهرطقة، ولما لهذا الإجراء من تداعيات دينية واجتماعية بالأساس.

والوقائع التاريخية تعكس هذه الممارسات في مختلف المجتمعات، من قبيل ممارسات الكنيسة، أو تأويلات حديث الافتراق في الإسلام ومآلاته. وما ينجر عنها من رفض للآخر المخالف.

الكلمات المفاتيح: اللاهوت، الكنيسة، الفرقة الناجية، الرحمة الإلهية، الافتراق...

Pathological theology between church authority and the surviving faction

Dr. Amina Tlili
Contract assistant professor, Department of Religion basics, High Institute of Religion basics, Zaytouna University, State of Tunisia

Abstract
No religion of the heavenly religions may be devoid of practices that inevitably lead to the formation of what is called pathological theology. What he means is that some of his followers monopolize divine mercy, and single out one group for it and not others, so they see themselves as right and others as wrong. The resulting legal rulings lead to infidelity and heresy, and this procedure has fundamentally religious and social repercussions.
Historical facts reflect these practices in some societies, on the one hand, the practices of the Church, and on the other hand, the interpretations of the recent split in Islam and its consequences. And the resulting rejection of the opposing other.
Keywords: theology, the church, the surviving group, divine mercy.

مقدمة:

لا يمكن الحديث عن اللاهوت الصراطي خارج دائرة فهم النص الديني وتأويلاته، بل وتحميله ما لا يحتمل من التأويلات، لأسباب تكاد تكون أسبابا ذاتية محضة، غايتها دنياوية بالأساس. وقد ألبسوها ثوبا دينيا، وجعلوا الجزاء والعقاب بيد طائفة دون أخرى. وأن الرحمة الإلهية خاصة بهم دون سواهم، وكل مخالف لهم كافر مخلد في النار. لا تشمله الرحمة الإلهية، التي ﴿**وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ كما جاء في القرآن الكريم، وكما ورد في الإنجيل أن الله "**كَثِيرُ الرَّحْمَةِ**". و"**رَحمَةُ الرَّبِّ فِلكُلِّ ذي جَسَد**" مثلما ورد في العهد القديم (التوراة). فنلحظ أن الرحمة الإلهية عامة، ولكن قد جعلها البعض لخاصة الخاصة يوزعونها لمن شاءوا ويحرمونها من خالفهم، وإن خالفهم في مسائل فرعية لا تبلغ مبلغ الأصول أو الثوابت من الدين مهما كان هذا الدين، فهو كافر مخلد في النار، واستحق صفة الهرطقة.

وإن مثل هذه المسائل الشائكة هو ما جعلني أكتب في هذا الموضوع، ساعية إلى بيان مفهوم اللاهوت الصراطي واحتكار الرحمة الإلهية، ولبيان هذا سأعقد مقارنة في هذا المسألة بين ممارسات الكنيسة ورجالاتها، وبين مذاهب التعصب الديني في الإسلام، وتأويل حديث الفرقة الناجية. وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل:

كيف تساهم تأويلات النص الديني إلى احتكار طائفة دون أخرى الرحمة الإلهية، ومن خول لهم هذا؟ وكيف تساهم هذه الممارسات في غرس ما يسمى بمفهوم اللاهوت الصراطي، ومركزية الخلاص أو الناجية في فرقة دون غيرها؟.

وحتى أستطيع إقامة هذه المقارنة والخروج منها بمواطن التشابه والاختلاف في معنى اللاهوت الصراطي وتطبيقاته بين سلطة الكنيسة في المسيحية وسلطة الفرقة الناجية في الإسلام، توسلت المنهج العلمي المقارن، وبعد أن وجدت في المنهج الاستقراء ظالتي عند الحديث عن أدلة كل منهما في احتكار الرحمة الإلهية، وتطويع هذه النصوص لتأييد مواقفهم، واستحقاق المخالف للعقاب، والخروج من دائرة اللطف الإلهي. فلهذا يعد كل من المنهج الاستقرائي والمقارن أهم المناهج المعتمدة في هذا البحث.

أما **مصطلحات البحث**: فإنني سأختصر على شرح المركب "اللاهوت الصراطي"، والذي يعرفه الرفاعي قائلا: " أعني به الفهم الذي يبتني على انحصار الطريق إلى الله والخلاص والنجاة بمعتقد مغلق، وأي فهم يخرج على الحدود التي رسمها هذا اللاهوت للمعتقد يعني الهلاك لأنه خروج عن الحق وحينئذ لا خلاص ولا نجاة"[1]. أي أن هذه القراءات انتهت بكلّ دين إلى أن يرى نفسه هو الحقّ وما سواه باطل، وأن أتباعه هم المخلصون، فهم وحدهم الذين يستحقون الرحمة فيظفرون بالخلاص ويفوزون بالنجاة"[2]. ومثال ذلك:

- ما جاء في التوراة من أن اليهود "**أنتم أولاد للرب إلهكم، شعب مقدّس للربّ إلهك**"[3].
- وما اشتهر عن المسيحية أن: "**عاشت الكنيسة من كلام الله...، الكنيسة هي مثل سرّ...، ووسيلة لتحقيق الاتّحاد الحميم مع الله، ووحدة الجنس البشريّ كلّه**"[4].
- وفي الإسلام حديث افتراق الأمة والفرقة الناجية: "**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**"[5].

مثل هذه النصوص في الأديان السماوية، ليست هي سبب احتكار الرحمة الإلهية، وإنما قراءتها الخاطئة. والتعسف في تأويلها، هو ما دفع بالبعض لتخصيص الرحمة الإلهية بجهة دون أخرى، والتصدر لإطلاق الأحكام واستحقاق الثواب والعقاب.

[1]) الرفاعي، عبدالجبار: **الدين والاغتراب الميتافيزيقي**، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد-العراق، ط/2، 2019م، ص 17.
[2]) المصدر نفسه، ص 17.
[3]) سفر التثنية: 14/1.
[4]) إنجيل متى: الإصحاح 28.
[5]) رواه ابن ماجة: **في السنن**، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، ح. رقم 3992.

المبحث الأول: مركزية الخلاص في الكنيسة

أولا: مفهوم الكنيسة

تعتبر الكنيسة هي أعظم المؤسسات الدينية في المسيحية وهذا ما نجد صداه في الكتاب المقدس: "أعلن الرب يسوع أن الكنيسة هي المؤسسة الإلهية العظمى"[1]. وقد: "أسس الله كنيسته من أجل غرض في نفسه، لم يخلص الله المؤمنين لكي يعيشوا في شركة انفرادية وانعزالية معه كما يعتقد البعض، إنهم مدعوون إلى الشركة في مجتمعات روحية كأفراد عائلة الله العاملة، ويوصينا ألا نترك اجتماعنا، فالكنيسة هي الجسد الذي رسمه الله والذي يستحق الاحترام، التعضيد والمشاركة الشخصية من كل شعبه""[2].

فإن كانت هذه نصوص الكتاب المقدس في الكنيسة فما هو تعريفها: "يعتقد كثير من الناس اليوم أن الكنيسة هي مبنى. ولكن ليس ذلك هو المفهوم الكتابي للكنيسة. فكلمة "كنيسة" تأتي من الكلمة اليونانية "ekklesia" وهي تعني "الجماعة" أو "المختارين". فأصل معنى "الكنيسة" لا يشير إلى المبنى، بل الناس"[3].

وهي جمع: "كنائس، الكنائس (بالعامية كنايس، الكنايس)، ويُطلَق عليها أيضًا: البِيعة، بِيعة والجمع: بِيَع، البِيَع (المفرد والجمع بِكَسْر الباء). ويُقال على مذهب الشخص المسيحي: مذهبه الكنسي، أو العمل الكنسي، ويُقال أيضًا: الحياة الكنسيّة..." [4].

1) إنجيل متى: الإصحاح 18.

2) جيبوس، ويليام فورد: الكنيسة النابضة دراسة تفصيلية في كل ما يتعلق بموضوع الكنيسة ونظامها ونموها بحسب تعليم الكتاب المقدس، هيئة خدمات فيرهيفن، سان لياندو- كاليفورنيا، ط/1، 2002م، ص 06.

3) أثناسيوس جورج، فهمي: الكنيسة في فكر الآباء، مطبعة سيوبرس، القاهرة-مصر، ط/2، 2019م، ص 06.

4) قاموس المصطلحات الكنيسة، معجم الكلمات الطقسية، موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/

ويُطلَق على الكنيسة أيضا: "الكرمة المقدسة، وقد شبَّه الرب نفسه بصاحب الكَرم الذي يخرج ليستأجر فَعَلَة (خدام) لكرمه (إنجيل متى 20). وقد قال الرب عن نفسه كذلك: "أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ" (إنجيل يوحنا 15: 1) [1].

الكنيسة هي: "جماعة المؤمنين، جسد المسيح...، هي واحدة وحيدة مقدسة جامعة رسولية، هي بيت الله المكرس للعبادة، هي بيت الملائكة الذين يسبحون معنا"[2].

وفي الماضي كانوا يعتبرون أن الكنيسة هي: "الأسقف يُحاط به جماعة المؤمنين، وكلهم حول مذبح الله...، فالكنيسة في معناها الحقيقي ليس فقط جماعة المؤمنين، ولكن جماعة المؤمنين حول الأسقف الذي يُدير الحركة الكهنوتية في الكنيسة" [3].

وتتكون الكنيسة العامة الجامعة من: "كل الذين لهم علاقة شخصية مع يسوع المسيح. "لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً" (كورنثوس الأولى 13:12). تقول هذه الآية أن كل من يؤمن هو جزء من جسد المسيح وقد قبل روح المسيح كدليل. فكنيسة الله العامة هي كل من نال الخلاص من خلال الإيمان بالرب يسوع المسيح" [4].

ويتعمق بولس الرسول في مفهوم الكنيسة فيقول إنها: "جسد المسيح" وإن المسيح هو رأسها، وهي الوسيلة التي بها يعرَّف بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا ، وأنها عروس المسيح التي سلم نفسه لأجلها، لكي يقدسها، مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة،

1) المصدر نفسه.

2) قاموس المصطلحات الكنيسة، معجم الكلمات الطقسية، موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/

3) موقع الأنبا تكلا هيمانوت، تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، https://st-takla.org

4) باب الإسكندرية، البابا شنودة الثالث: بدعة الخلاص في لحظة، إدارة الكنوز القبطية، القاهرة-مصر، ط/1، 2023م، ص 12.

لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب"[1]. وهناك خصائص بارزة تميز بها الكنيسة، وهي:

- "**الإيمان**" فتعقيباً على اعتراف بطرس بإيمانه بأن المسيح هو ابن الله، وعد المسيح أنه "على هذه الصخرة (صخرة الإيمان)، ولم يصرح المسيح بذلك إلا عندما وجد رجلًا عنده إيمان، فقد كان بطرس مثالًا مسبقًا، لكثيرين، سيكون لهم نفس الإيمان بالرب، سيبني بهم الرب كنيسته[2].
- "**الشركة**": إذا كان الإيمان هو الخاصة الأساسية للمجتمع المسيحي، فإن الشركة هي الخاصة الثانية التي تميز هذا المجتمع، فهي تلازم الإيمان الذي لكل مؤمن بالمسيح، ومن ثم يربط كل المؤمنين معًا كأعضاء في الجسد الواحد رأسه هو المسيح الذي منه كل الجسد بمفاصل وربط متوازرًا ومقترنًا ينمو نموًا من الله[3].
- "**التكريس**": كانت إحدى الخصائص البارزة في كنيسة العهد الجديد، تكريس أعضائها للرب، فكثيرًا ما يطلق عليهم وصف قديسين وللكلمة معناها الموضوعي، إذ كانت هذه القداسة تتضمن انفصالهم عن العالم لاختيار نعمة الله لهم ويكتب الرسول بطرس للمؤمنين أما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي، أمة مقدسة شعب اقتناء[4].
- "**القوة**": كانت القوة الروحية من خصائص الكنيسة فعندما وعد الرب يسوع أن يبني كنيسته، قال لبطرس ممثلًا عن التلاميذ: "وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات"، أي امتياز فتح أبواب الملكوت لليهود وللأمم. وقد مارست الكنيسة ككل هذا السلطان[5].

1) ايليا، إسحاق: عروس المسيح: تشبيهات الكنيسة، مجلة رسالة الشباب المسيحي، العدد01، السنة، 2020م، http://rshabab.org/default.aspx?year=2020&issueno=1

2) يعقوب، حلمي القمص: يا أخواتنا الكاثوليك: متى يكون اللقاء، إدارة الكنوز القبطية، الإسكندرية-مصر، ط/1، 2001م، 60/1.

3) المصدر نفسه، 61/1.

4) المصدر نفسه، 61/1.

5) المصدر نفسه، 62/1.

ثانيا: وظائف الكنيسة

جاء في الكتاب المقدس بأن وظائف الكنيسة محددة من عند الله: "أوّكل الربّ يسوع المسيح إلى الكنيسة الحكم النهائي، فعندما تتخذ الكنيسة إجراء يصبح نهائيًا فليست هناك جهة أخرى لاستئناف الحكم إليها، ففي كنيسة "كورنثوس" ارتكب أحد الأشخاص خطية معينة، وكتب إليهم الرسول بولس أن تتولى النظر في الأمر الكنيسة مجتمعة: "إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع، فاعزلوا الخبيث من بينكم"[1].

وحتى تتضح الصورة أكثر نورد ما قاله أحد الآباء الكاثوليكيين: "تؤكد حقائق الكنيسة أنّ الأسرار المقدسة وحدها هي القنوات التي تنقل إلينا النعمة الإلهية المُخلصة من الخطايا التي تحول دون استحقاقنا للحياة الأبديّة"[2].

وإضافة إلى إعلان مجمع "لاتران الرابع"[3]: أنّه لا نجاة، ولا مغفرة خطايا، ولا حياة أبديّة إطلاقا، لكل من هو غير كاثوليكي، وأن كل دين أو مذهب تؤمن به الشعوب الأخرى غير الكاثوليكية لا يكون إلا هرطقة"[4]. فجعل هذا الإعلان الخلاص والنجاة والجنة حكرا على الكنسية بل الكنيسة الكاثولويكية لا أي كنيسة، إن هذا التعصب المذهبي الضيق هو ما غذى روح اللاهوت الصراطي وعمقها في نفوس رجال الكنيسة، وأتباعها.

1) سفر التكوين: الإصحاح: 13. نقلا عن: قاموس المصطلحات الكنيسة، معجم الكلمات الطقسية، موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/

2) الفاتيكان: مُعمّدون ومُرسلون، مجمع تبشير الشعوب الأعمال الرسولية البابوية، 2019م، ص 14.

3) مجمع لاتران الرابع: (لاتران هذا قصر في روما، وكان مقرا للباباوات عدة عشرة قرون) ومجمع لاتران الرابع انعقد سنة 1210م في روما وقرّروا فيه إنّ العشاء الرباني يتحوّل إلى جسد ودم المسيح وأنّ الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء ولد تطوّر بعد ذلك الأمر إلى وثائق تباع عرفت باسم صكوك الغفران". (ملر، اندرو: مختصر تاريخ الكنيسة، مكتبة الإخوة، شبرا-مصر، ط/4، 2003م، ص 395)

4) أوت، لودويغ: مختصر في علم اللاهوت العقائدي، ترجمة: الأب جرجس المارديني، المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت)، ص 03.

فالقرار يجب أن يصدر من الكنيسة وحدها، أي أنه لا سلطة فوق سلطة الكنيسة، وهذه الحرية المطلقة التي منحت للكنيسة، في اتخاذ القرارات وتنفيذها، هو ما يعكس بعض تجاوزاتها أو لنقل استبدادها بالرأي وانفرادها بالحكم أحياناً كثيرة، وهو الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن صكوك الغفران وما دار حولها من اختلاف وجهات النظر بين المؤيد لها والسعي إليها بكل ما أوتي من مال وممتلكات، وبين رافض لهذه السياسة والدعوة إلى القطع معها لما فيها من تجاوز لتعاليم المسيحية الحقيقة أو لما فيها من إنهاك للأموال والأنفس، واستغلال القساوسة لضعفاء الإيمان وكثيرة الخطايا، واحتكار الغفران الإلهي لهذه الخطايا، وقبل الحديث عن هذه المواقف، لابد لنا من التعريج على تعريف هذه الصكوك ومتى بدأ العمل بها على أرض الواقع؟.

ثالثا: صكوك الغفران والخلاص

وصك الغفران هو: "وثيقة كانت تمنح من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية مقابل مبلغ مادي يدفعه الشخص للكنيسة يختلف قيمته باختلاف ذنوبه، بغرض الإعفاء الكامل أو الجزئي من العقاب على الخطايا والتي تم العفو عنها. يتم ضمان صكوك الغفران من الكنيسة بعد أن يعترف الشخص الآثم و بعد أن يتلقى الإبراء". ظهر مصطلح صكوك الغفران كعلاج لعذاب المطهر في المجمع الثاني عشر المنعقد في روما سنة 1215 م وقرر فيه أن "الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء[1]".

وقد استندت الكنيسة لتعزيز مشروعية هذا المعتقد بعدد من النصوص، ومنها:

- أنت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات"، ولما كانت الكنيسة تعتبر نفسها وارثة لبطرس ورثت أيضاً هذا السلطان.
- وأيضاً يقول يوحنا بأن المسيح قال لتلاميذه: "من غفرتم للناس خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت".

1) تعريف صك غفران: https://www.marefa.org

- فقد ورثوا دور المسيح الوسيط الذي وصفه بولس: " يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح"[1].

وقد وُوجه قرار المجمع باحتجاجات طويلة من الذين رفضوا أن يكون قرار الغفران بيد رجال الكهنة الخاطئين. وهذه صورة من صك الغفران الذي: "كان يبيعه "**يوحنا تتزل**" ربنا يسوع المسيح يرحمك (يا فلان) باستحقاق آلامه القدسي، وأنا بما أُعطيت من السلطان الرسولي أَحِلّكْ من قَصَاص كنسي أُوجِب عليك، ومن كل خطية وإثم مهما كان عظيمًا ومن كل علَّة وإن كانت مغفرتها مختصة بأبينا الأقدس البابا والكرسي الرسولي، وأمحو عنك كل ما جلبته على نفسك من أقذار العجز والملام، وأرفع عنك عقاب، وأُردك إلى الشركة في أسرار الكنيسة وأدخلك في شركة القديسين، وأرجعك إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك، حتى أنه في ساعة الموت عينها يُغلق أمامك الباب الذي يدخله الأثمة إلى محل العقاب، ويُفتح لك الباب الذي يدخله المقدسون إلى فردوس الابتهاج، وإذا حييت سنين كثيرة تبقى هذه النعمة لا تتغير إلى آخر ساعات حياتك...، باسم الأب والابن والروح القدس الأخ "يوحنا تتزل النائب" قد وقع ذلك بيده[2]".

وقد "قادت صكوك الغفران إلى الإهمال والتهاون والتسيب واستسهال الخطية، فليرتكب الإنسان ما يشاء من الشرور، وكل خطية لها ثمنها الذي يدفعه فيستريح ضميره ويضمن المغفرة والنجاة. وبذلك قتلت صكوك الغفران الكثيرين وقادتهم للهلاك الأبدي"[3]. الأمر الذي جعل الكثير يثور على هذه الممارسات، التي ما زادت إلا في ثروات القساوسة ورجال الكنيسة، الذين جعلوا منها مصدراً للثراء وجمع المال الوفير. وهذا ما نجد صداه في كتاب مختصر تاريخ الكنيسة: والذي جاء فيه: "كان الدافع كله لبيع صكوك الغفران في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ليس رحمة بالناس بل الحصول على المال، فقالت "ايرجيتا" التي تعترف الكنيسة الكاثوليكية

1) إبراهيم، جون كوري: مفاتيح ملكوت السماوات، نشر بتاريخ: 2013/03/19،
https://www.elhaya.org/ar/sub.php?mcd=sermons_c&idx=185272

2) يعقوب، حلمي القمص: يا أخواتنا الكاثوليك: متى يكون اللقاء، إدارة الكنوز القبطية، الإسكندرية-مصر، ط/1، 2001م، 45/1.

3) المصدر نفسه، 45/1.

بقداستها: أن البابا قد جمع الوصايا العشر في جملة واحدة وهي " قدم لي مالًا". وقال أحدهم: " أن المال وليس المحبة هو الذي كان يستر كثرة من الخطايا في ذلك الوقت". وقال القس جون لوريمر: "ضج الناس بالشكوى من أعلى حاكم إلى أدنى قروي بأن الكنيسة عاشت للمال ومن أجل الكنيسة ضغط البابا على الأساقفة الذين عصروا الكهنة الذين هم بدورهم عصروا الشعب. قال مواطن أسباني: "أرى أننا نادرًا ما نحصل على شيء من خدام المسيح إلاَّ بالمال، في العِماد بالمال.. في الزواج بالمال -الاعتراف بالمال- ولا سر المسحة الأخيرة بدون المال لا يدقون الأجراس بدون المال - لا مراسم في الكنيسة بدون المال"...، بالطبع كانت المراكز والوظائف الكنسية لمن يدفع المبلغ الأكبر"[1].

ومن مقابل هذا الاحتكار للرحمة الإلهية والغفران ثار الكثير على هذه السياسات المظلة التي لم يثبت عن الكنيسة الأولى، فبدأت الحرب على الكنسية عام 1516م بإعلان مارتن لوثر رفضه القاطع لهذه التجاوزات وضرورة محاربتها. وأن صكوك الغفران باطلة ولا غفران بدون الاعتراف بالخطايا والعمل الصالح. فإعلان لوثر رفض عصمة البابا ورفض سلكة الكنيسة، ما عدا الكتاب المقدس، وحتى يتضح موقف لوثر من صكوك الغفران نورد بعض بنود احتجاجه، وهي كالآتي:

- إن الله هو الذي يغفر الخطايا، وإن الإنسان لا يستطيع أن يشتري الغفران وخلاص نفسه بمبالغ معينة من المال. وأن الأعمال الصالحة لازمة، ولكنها لا تخلص الإنسان. وهي ثمرة الإيمان.
- إن الكتاب المقدس هو دستور حياتنا وهو فوق تقاليد الكنيسة. إننا نقبل التقاليد إذا كانت لا تتعارض مع ما يعلمه الكتاب المقدس.
- إن الأسرار المقدسة اثنان وليس سبعة، لأن المسيح لم يرسم إلا سرين (أو فريضتين) مقدسين هما المعمودية والعشاء الرباني.

1) ملر، اندرو: مختصر تاريخ الكنيسة، (م.س)، ص 37-38.

- دعا لوثر الرهبان والراهبات والكهنة إلى الزواج إذ شاءوا ذلك. أما من أراد أن يبقى عازباً فإن حرية الخيار متروكة له وراجعة إلى ضميره[1].

ونتيجة هذا الهجوم من جانب لوثر أصدر البابا ليو العاشر في ديسمبر 1520م قرار الحرمان ضد لوثر وذلك لأن أراءه جعلت منه مارقاً على المسيحية، وقد قام لوثر بحرق الحرمان علنا في ساحة كنيسة "فتنبرج". وفي يناير 1521م أُستدعي لوثر للمثول أمام أول مجمع إمبراطوري لمناقشة أرائه بناء على طلب الإمبراطور تشارلز الخامس، وأصر لوثر في هذا المجمع على أرائه فاعتبر خارجاً على السلطة القائمة وحرم من حقوقه المدنية[2].

إن حرمان لوثر من حقوقه المدنية واعتباره مارقا على المسيحية لمعارضته سلطة الكنيسة، ورفضه لصكوك الغفران التي لم تكن في الكنيسة الأولى، ما هو إلا ترجمة واضحة على التعصب الديني ورفض الآخر المخالف. وما هذا إلا مظهر من مظاهر تكريس اللاهوت الصراطي بوصفه احتكارا للرحمة الإلهية، وقد تجسد هذا في مواقف عديدة بداية من القول إ ن المسيح وحده هو وسيط الخلاص، وصولا إلى بيع صكوك الغفران، جاعلين الخلاص في الكنيسة فقط، وكل من خالف تعاليمها فهذه هرطقة وكفر يوجب العقاب. ونجد أنفسنا لسنا ببعيدين عن هذه الممارسات، إذا ما قورن الأمر بتأويلات حديث افتراق الأمة، والفرقة الناجية في الإسلام، واختصاصه بالرحمة الإلهية والجنة دون غيرها من الفرق.

1) محمد سيد، صالح: مارتن لوثر وبدعة صكوك الغفران، ديوان العرب، نشر بتاريخ، 23 جوان 2009م، https://www.diwanalarab.com/مارتن-لوثر-وبدعة

2) المصدر نفسه.

المبحث الثاني: حديث الافتراق والرحمة الإلهية

أولا: حديث الافتراق

ورد حديث افتراق الأمة من طرق متعددة، أذكر بعضها:

- رواية أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتّي على ثلاث وسبعين فرقة"[1].
- ورواية معاوية بن أبي سفيان قال: "ألا إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا فقال: ألا إنّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النّار وواحدة في الجنة، هي الجماعة"[2].
- وفي رواية أخرى: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنّة، وسبعون في النّار، وافترقت النّصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النّار، وواحدة في الجنّة، والذي نفس محمّد بيده لتفترقن أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنّة، وثنتان وسبعون في النّار"، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة"[3].
- ورواية أنس بن مالك قال: "رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "إنّ بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإنّ أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلّها في النّار، إلا واحدة وهي: الجماعة"[4].

ثانيا: تأويلاته

اختلف في تأويله العلماء على قولين فمنهم من صححه، كأبي داود والحاكم وبن حجر وبن تيمية والطبراني والترمذي..، لتعدد الرواية وتواترها. ومنهم من ضعّف زيادة "كلّها في النار إلا واحدة

1) رواه الترمذي: السنن: الجامع الكبير، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، ح.رقم: 2640.
2) رواه أبو داود: في السنن، كتاب السنة، باب شرح السنة، 4597/4.
3) رواه ابن ماجة: في السنن، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، ح.رقم: 6182.
4) رواه الترمذي: السنن: الجامع الكبير، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، ح.رقم 2788.

"، وهم ابن حزم حيث قال: "ذكروا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القدريّة والمرجئة مجوس هذه الأمة، وحديثا آخر تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها في النّار حاشى واحدة فهي في الجنة...، وهذان حديثان لا يصحان أصلا من طريق الإسناد وما كان هكذا فليس حجّة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به[1]. وقال: إن الزّيادة (كلها هالكة إلا فرقة) موضوعة وإنما الحديث المعروف إنّها تفترق إلى نيف وسبعين فرقة لا زيادة على هذا في نقل الثّقات ومن زاد على نقل الثّقات في الحديث المشهور كان عند المحدثين معلا ما زاده غير صحيح وإن كان الرّاوي ثقة"[2].

أمّا الإمام محمد بن أحمد البشاري المقدسي فذكر: رواية "كلها في الجنة إلا واحدة"، وذكر رواية "كلها في النار إلا واحدة " ثم قال: الثانية أكثر شهرة، والأولى أصح سنداً"[3].

في حين ذهب البعض الأخر: "إلى أن المراد بالأمة هنا أمة الدعوة لا أمة الإجابة، وأن الافتراق إلى فرق واقع في الأمة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان به ولم تؤمن، وأن الفرقة الناجية: هي كل من آمن بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهم كلهم أمة الإجابة على اختلاف فرقهم وطوائفهم، وهم أيضا الفرقة الناجية. والأمر الذي ألجأ هؤلاء إلى هذا القول هو ما ورد في حديث الافتراق من وصف هذه الفرق الثنتين والسبعين بالهلاك، والحكم عليها بأنها في النار، فأشكل عليهم ذلك، وألجأهم إلى القول بأن المراد بالأمة أمة الدعوة، وأن الناجية هي أمة الإجابة"[4].

1) القاسم، المنصور بالله: الإرشاد إلى سبيل الرشاد، تح: محمد يحي سالم عزان، دار الحكمة اليمانية، صنعاء-اليمن، ط/1، 1417هـ/1996م، ص 59.

2) المصدر نفسه، ص 60.

3) المصدر نفسه، ص 60.

4) النجار، عباس: الفرقة الناجية في الميزان، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة، البحرين، ديسمبر 2007م، https://tajdeed.org/wehda/الفرقة-الناجية-في-الميزان/

ثالثا: آثاره

أما عن الآثار المترتبة عن تأويلات هذا الحديث فيها كثيرة، وقد تتحول هذه الآثار إلى خطر يواجه الأمة جمعاء. ويفضي تأويل حديث الافتراق حتما إلى إشكاليات يمكن تلخيصها في الآتي:

تغذي تأويلات الأحاديث الخاطئة والتعسف في شرحها روح المذهبية والتعصب، بما فيه من تنبؤ بهلاك اثنتين وسبعين فرقة منتسبة للإسلام، ونجاة واحدة فقط. الأمر الذي يدفع بالبعض ليكونوا أوصياء على هذه الفرقة الناجية فيصبح الولاء للفرقة مفتاح الجنة وموجب الرحمة الإلهية. وما دونها كافر، مخلد في النار، ونلمس هذه المظاهر في معاملات بعض الفرق الإسلامية كتعصب فرقة الخوارج، والتي راحت تكفر كل من خالفها، وأن المسلم والمؤمن من اتبع مذهبها وقال بمقالتها، وكل ما عادها كافر مخلد في النّار، ومن المعلوم ما قام عليه الفكر الخارجي من تكفير بلغ حد تكفير الصحابة المبشرين بالجنّة، فما بالك بالعصاة من الأمة، الأمر الذي يؤدي حتما إلى تكريس الفُرقة في أمة كانت ﴿ **خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾.

لقد عصفت هذه التأويلات والقراءات الخاطئة لهذا الحديث بوحدة الأمة الإسلامية، مما تسبب في توسيع النزاع، وتكفير كل مخالف وإن كان الاختلاف لا يتعدى الفروع. ونعلم ما لحكم التكفير من أحكام دنياوية وأخروية كإباحة دم الكافر، وعدم دفنه في مقابر المسلمين، ولا يورث ولا يورث، وإن هذه الأحكام الشديدة التي لها مقاييس مضبوطة تحددها، لا يمكن إطلاقها جزافا على كل مخالف، لسبب واحد وهو احتكار الرحمة الالهية.

لهذا يعد تأويل حديث افتراق الأمة من أكبر المشاكل التي واجهت الأمة الإسلامية قديما وحديثا، لما له من أثر بالغ في المجتمع الإسلامي، وإطلاق الأحكام الشرعية على هذا الفرق، وقد توسل البعض هذا الحديث في تصنيف كتب الفرق والملل، فراحوا يقسمون الفرق متعسفين في ذلك بغية بلوغ العدد ثلاثاً وسبعين فرقة. وكل فرقة من هذه الفرقة تعتبر نفسها الناجية وغيرها الهالكة المخلدة في النّار، والواجب مفارقتها في الدنيا، واسقاط أحكام الكفار على أتباعها، الأمر الذي يغذي الكراهية بين فرق الإسلام، وكثرة الصراعات.

الخاتمة:

- **النتائج:**

يمكن القول إن كلاً من ممارسات الكنيسة، وبعض الفرق الإسلامية التي يدعي أصحابه أنها الفرقة الناجية، وغيرها الهالكة، لها تداعياتها على المجتمع بشكل مباشر، فهي تهدد استقراره وأمنه. الأمر الذي يخلق الفوضى.

وذلك بسبب احتكار الرحمة الإلهية في تأويلات حديث الافتراق، بل وأشد من ذلك تصنيف الفرق وحصر الناجية منها في فرقة واحدة مع التأكيد على تسميتها، ولا يكتف بما جاء في الحديث "ما أنا عليه وأصحابي"، والذي يتنزل في إطاره عديد الفرق والمذاهب التي لا يمكن إخراجها عن هذه الدائرة، وجعل الرحمة والمغفرة والشفاعة الإلهية حكرا على هؤلاء فقط دون سواهم من الفرق. وأما في المسيحية فبسبب احتكار الكنيسة للخلاص، وبيع صكوك الغفران.

الأمر الذي يغرس في قلوب النّاس أن الرحمة الإلهية حكرا على البعض دون غيرهم. الشيء الذي ينعكس سلبا في الفرد والمجتمع، وكأن مصيرهم قد تقرر وأنهم مخلدون في النار، وأن رحمة الله لن تغفر أفعالهم، وهو أمر خطير قد يساهم بشكل مباشر في فساد المجتمع، بعد أن أيقن أن الرحمة الإلهية لن تبلغه.

- **التوصيات**

إن هذا الأمر الخطير يدفعنا إلزاما لبيان معنى الرحمة الإلهية (أو ما يعبر عنها في الدين الإسلامي بالشفاعة)، وأنها تشمل كل فرد عرف ربه فعبده، وإن قصر في حقه عزّ وجلّ، فإنه سيغفر له برحمته، ما دام يحمل في قلبه ذرّة من الإيمان الصادق.

وأخيرا لابد من التنبيه إلى أن مثل هذا الأفكار المتشددة سواء في الفكر الإسلامي أو الفكر المسيحي إنما هي وليدة ظروف معينة، التبس فيها الشأن السياسي بالشأن الديني، فساء فهم النص المقدس إما عمدا أو تقصيرا، ولهذا وجب الحرص على طلب العلم من مصادره الأصلية ومن أهله.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

1- أثناسيوس جورج، فهمي: **الكنيسة في فكر الآباء**، مطبعة سيوبرس، القاهرة-مصر، ط/2، 2019م.

2- أوت، لودويغ: **مختصر في علم اللاهوت العقائدي**، ترجمة: الأب جرجس المارديني، المكتبة الشرقية، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت).

3- البابا شنودة الثالث: **بدعة الخلاص في لحظة**، إدارة الكنوز القبطية، القاهرة-مصر، ط/1، 2023م، ص 12.

4- جيبوس، ويليام فورد: **الكنيسة النابضة دراسة تفصيلية في كل ما يتعلق بموضوع الكنيسة ونظامها ونموها بحسب تعليم الكتاب المقدس**، هيئة خدمات فيرهيفن، سان لياندو-كاليفورنيا، ط/1، 2002م.

5- الرفاعي، عبدالجبار: **الدين والاغتراب الميتافيزيقي**، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد-العراق، ط/2، 2019م.

6- الفاتيكان: **مُعمّدون ومُرسلون**، مجمع تبشير الشعوب الأعمال الرسولية البابوية، 2019م.

7- القاسم، المنصور بالله: **الإرشاد إلى سبيل الرشاد**، تح: محمد يحي سالم عزان، دار الحكمة اليمانية، صنعاء-اليمن، ط/1، 1417هـ/1996م.

8- ملر، اندرو: **مختصر تاريخ الكنيسة**، مكتبة الإخوة، شبرا-مصر، ط/4، 2003م.

9- يعقوب، حلمي القمص: **يا أخواتنا الكاثوليك: متى يكون اللقاء**، إدارة الكنوز القبطية، الإسكندرية-مصر، ط/1، 2001م.

المواقع الالكترونية:

1- إبراهيم، جون كوري: **مفاتيح ملكوت السماوات**، نشر بتاريخ: 2013/03/19، https://www.elhaya.org/ar/sub.php?mcd=sermons_c&idx=185272

2- ايليا، إسحاق: **عروس المسيح: تشبيهات الكنيسة**، مجلة رسالة الشباب المسيحي، العدد01، السنة، 2020م، http://rshabab.org/default.aspx?year=2020&issueno=1

3- النجار، عباس: **الفرقة الناجية في الميزان**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة، البحرين، ديسمبر 2007م، https://tajdeed.org/wehda/الفرقة-الناجية-في-الميزان/

4- قاموس المصطلحات الكنيسة، معجم الكلمات الطقسية، موقع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/

5- محمد سيد، صالح: **مارتن لوثر وبدعة صكوك الغفران**، ديوان العرب، نشر بتاريخ، 23 جوان 2009م، https://www.diwanalarab.com/مارتن-لوثر-وبدعة

6- موقع الأنبا تكلا هيمانوت، **تراث الكنيسة القبطية الأرثوذكسية**، https://st-takla.org

7- يعقوب، حلمي القمص: **يا أخواتنا الكاثوليك: متى يكون اللقاء**، إدارة الكنوز القبطية، الإسكندرية-مصر، ط/1، 2001م.